﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠﴾ [الحجر: 70]

الرّبطُ بين تَرجّيهِ لهم أن لا يُخزوه في ضيفِه، وردِّهم بالعزمِ على الفاحشةِ

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذكّرهم لوطٌ بضيفِه وأمرَهم ونهاهُم أجابوه بقولِهم فيما أخبرَ اللّه تعالى عنهم ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

شَرْحُ الْمُفْرَداتِ:

1) ﴿نَنۡهَكَ﴾: أصلُ (نهي): يَدُلُّ على غايةٍ وبُلوغ. يُقالُ: أنهَيتُ إليه الخبَرَ: بَلَّغْتُه إيّاهُ، ونِهايَةُ كُلِّ شَيءٍ: غايَتُه. ومنه نَهَيْتُه عنه، وذلك لأمْرٍ يَفعَلُه. فإذا نَهَيْتَهُ فانتَهى عنكَ فَتِلكَ غايَةُ ما كانَ وآخِرُهُ[1]. والإنْهاءُ: الإيصالُ والإبلاغُ[2]، والنِّهايَة: غايَةُ كُلِّ شَيءٍ وآخِرُهُ[3]، والانْتِهاءُ: الاكْتِفاءُ والامْتِناعُ، يُقالُ: نَهِيَ فُلانٌ مِنَ اللَّحْمِ إذا اكْتَفَى منه[4]. والنَّهيُ: الكَفُّ عَنِ الشَّيءِ والمَنْعُ منه، تَقولُ: نَهاهُ إذا كَفَّهُ ومَنَعَهُ عَنْ شَيءٍ ما، ومنه النُّهْيَةُ وهي العَقْلُ؛ لأنَّه يَمْنَعُ صاحِبَهُ مِنَ القَبيحِ[5]. والمقصودُ بالنَّهي في الآية: طَلَبُ تَرْكِ الفِعْلِ بالقَوْلِ على وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ.

المَعنى الإجْماليُّ:

تَصْميمُ القومِ على الفاحشةِ مع الضُّيوف، دليلٌ على فُحْشِهم وكُفْرِهم

قال قَومُ لوطٍ له: أولَم نَنهَكَ يا لوط عن ضيافةِ أحدٍ مِنَ النّاس أو تُؤويه في قريتنا؟ فنحن قد أنذَرْناك، ومَن أنذَرَ فقد أعذَرَ. إذ هم كانوا يتعرَّضون لكلِّ غريبٍ بالسّوء، وكان لوطٌ ينهاهم عن ذلك على قدر حولِه وقوّتِه، ويحولُ بينهم وبين من يَعرضون له، وكانوا قد نهَوْه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (نهي).
(3) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نهي).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (نهي).
(5) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (نهي).

عنِ التَّعرّضِ لهم في مثل ذلك، فكأنَّهم - أخزاهم اللّه - قالوا ما ذكرتَه مِنَ العارِ والفضيحةِ إنَّما جاء من قِبَلك لا من قِبَلنا، إذ لولا تعرّضُك لِما نتصدَّى له لَما اعتراك ما يَسوءُك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الاسْتِئنافِ البيانِّي في السّياقِ:

لمّا قال لهم لوطٌ ما تقدَّمَ في الآيةِ السّابقة، كان كأنَّه قيلَ: فماذا أجابوه بعدَ تذكيرِهم بما ينبغي الانتهاءُ عن فعلِهم؟ فأجاب: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وفي الاسْتِئنافِ اسْتِدرارٌ لأسماعِ المخاطَبين وتنبيهٌ إلى الإصغاءِ للكلام حينما يطولُ للإشعارِ بأهمّيَّته.

تَنبيهٌ إلى استمرارِ الإصغاءِ، لطولِ الأخذِ في الحوارِ والعَطاءِ

بَلاغةُ الاسْتفهامِ في الآيةِ:

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: وفيه أنّه لمّا كان القومُ يتعرَّضون لكلِّ أحدٍ، وكان لوطٌ عليه السلام يقومُ بالنَّهي عنِ المنكر، والحجْرِ بينهم وبين المتعرِّضِ له دائمًا جاء الاستفهامُ على معنى الإنكارِ على حمايتِه لِمَن يتعرَّضون له ومنعِهم منَ الوصول إليه، ويتولَّدُ منَ الإنكار تقريرُ نهْيِهم له، وتذكيره وزجره عن حماية الضّيف بمعونةِ المقامِ.

تعنّتُ المُنحرفين، لطولِ مُكثِهم على الفاحشةِ، ونَهيُ من يُنكرُ عليهم

بَلاغةُ التّعبيرِ بتركيبِ ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾:

الهمزةُ للإنكارِ والواوُ للعطفِ على مقدَّرٍ، أي ألم نتقدمْ إليك ولم ننْهَكَ عن ذلك، فجمَعَ في هذا التّركيب الاستفهامَ والعطفَ؛ ليجمعَ بين معنيَيْن في تركيبٍ واحدٍ[2].

الجمْعُ بين معنيَيْن في تركيبٍ واحدٍ، من بليغِ البيان

سِرُّ إيثارِ ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾:

لم يأتِ الفعلُ بصيغةِ الماضي كأن يقال (أوَ ما نهيناك)، لما يفيدُه النَّفيُ بـ(لَمْ) من قُربِ نهيِهم له، والمعنى تقريرُ قَربِ نهيهم له واستمرارِه.

استمرارُ إنكارِ لوطٍ على قومِه، ومواصلتُهم مُعارضتَه

(1) المراغي، تفسير المراغي: 14/37.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/85.

بَلاغةُ الكنايةِ في قولِه: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾:

استمرارُ دعوةِ المؤمنين للقومِ المُنحرفين

لمّا دلَّ الاستفهامُ المجازيُّ على تجدّدِ الإنكارِ على لوطٍ على حمايتِه للضّيفِ والغريب، وأفاد مجيءُ الفعلِ المضارعِ مع جازمِه قُربَ دعوةِ لوطٍ لهم إلى ترك المُنكرِ أفاد الكلامُ بلازمِه على طريقِ الكنايةِ استمرارَ لوطٍ عليه السلام على دعوتِهم والإنكارَ على أفعالِهم القبيحةِ، بمعنى أنَّه عليه السلام كان مستمرًّا على دعوتِه لهم وكانوا مُستمرّين على نهيِه عن منعِهم منَ الوصولِ إلى رذائِلهم.

نُكتةُ التّعْبيرِ بالفعلِ ﴿نَنۡهَكَ﴾:

جمْعُ قومِ لوطٍ بين شَناعةِ الفعلِ، وشَناعةِ القولِ

في التّعبيرِ بلفظِ ﴿نَنۡهَكَ﴾ إشعارٌ بفظاظتِهم ووقاحتِهم في قولِهم، فالتّعبيرُ بلفظِ النّهيِ يفيدُ الزّجرَ عن غايةِ ما يكونُ وآخره في طلب الكفِّ عن أمرٍ[1]، فهم لقُبحِهم وقُبحِ أفعالِهم يرتكبون شناعةً أخرى في مخاطبة رسولِهم عليه السلام.

دَلالةُ (ال) في لفْظِ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

لفظُ (العالمين) بمعنَى النّاسِ الّذين مَرّوا بهم

(ال) هنا للعهدِ العِلميِّ، وأرادوا بِهِ هُنا عالَمي زمانِهم من أصنافِ القَبائِلِ أو العالمين الذين مرّوا بهم وأمكن ملاقاتُهم، فعبَّرَ بـ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لِقَصْدِ التَّعْميم[2].

بَلاغةُ تَعديةِ فعلِ النّهيِ إلى الذّواتِ:

صَفاقةُ المُنحرفين، في نهْيِ رسولِهم عن حمايةِ ضُيوفِه المُكرَمين

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، تَعْدِيَةُ النَّهْيِ إلى ذاتِ العالَمِينَ للمبالغة في النّهي، وهو تقديرُ مُضافٍ دَلَّ عليه المَقامُ؛ إذِ النّهيُ لا يتعلّقُ بالذّوات، أي ألم ننْهكَ عن حمايةِ العالَمين أو عن منعِهم أو عنِ الدَّفعِ عنِ العالَمين[3]، وذهب بعضُ المفسّرين إلى أنَّ التّقديرَ: ألم ننْهك عن أن تضيفَ أحدًا من العالَمين؛ وكأنّهم يقولون

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (نهي).

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/187، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/67.

(3) الواحدي، التفسير البسيط: 12/630، والزّمخشري، الكشاف: 2/585، والبيضاويّ، أنوار التنزيل: 3/215.

له لو انتهيتَ عن ضيافتِهم لا يلحقُ بك هوانٌ ولا خجالةٌ بسَبَبِهم[1]، واعترُضَ عليه بأنَّه لا يوافقُ اسْتِبشارَهم بالضّيفِ وهَرَعَهُم إليه، في قولِه تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾، فكيف ينهونَه عن شيءٍ يَستبشِرون به، ويحتملُ أن يكونَ نهيُهم عن ضيافة الغرباءِ، طمعًا منهم في سهولةِ فعلِ الفاحشةِ، ولأنَّهم كانوا يعلمون أنَّ لوطًا عليه السلام، إذا نزل به الضّيفُ منعَهم منَ الوصولِ إليهم، ومع هذا فالتّقديرُ المذكورُ أوّلًا أولى وأظهرُ[2].

نُكتةُ التَّعْبير بلفْظِ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

لا حُـرمةَ لأحدٍ عندَ المُنحَرفين، لـفـسـادِ طِباعِهم، وسوءِ أخلاقِهم

لمّا كان قومُ لوطٍ يتعرَّضون لكلِّ أحدٍ[3]، عبِّر بلفظٍ يعمُّ الجميعَ في قولِه ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على سبيلِ المبالغةِ؛ للإيذانِ بمزيدِ شَناعةِ فعْلِهم، فلا حرمةَ لأحدٍ عندَهم.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/117، والبغوي، معالم التنزيل: 3/63، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/215، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/188.

(2) ابن المظفر الرازي، مباحث التفسير، ص: 195.

(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 12/630، والزمخشريّ، الكشاف: 2/585.